مغامرات هاكلبري فن

عندما قرأت الرواية أمسكت بالقلم وبدأت أخُطُّ به ما جال بخاطري حيال الرواية وبعين معجب ومندهش وأحياناً ناقد ؛ وسألت نفسي : هل أنا بهذا القدر الذي يعطيني الحق في نقد كاتب كبير ؟

أنها محاولة بسيطة من شخص يصبو ليكون مثل مارك توين !!فها أنا أخطو خطواته نحو عالم مليء بألغاز الكلمات ..... والجدير بالذكر أنه ربما يكون نقدي المتواضع علي الترجمة فأحيانا تطرأ مثل هذه الأشياء نتيجة الترجمة . لا أعرف حقا من أين أبدأ، فالرواية مليئة بالعديد من الأشياء التي يجب أن نتكلم عنها سوياً ,,,, دعونا نبدأ بالشخصيات وطبعا من سنبدأ به هو بطلنا "هاكلبري فن" ..... لطالما ظهر " هاك " بشخصية طيبة حنونة لا يمت إلي أبيه بأي صلة، وقد ظهر ذلك في عدة مواضع منها :

1. عندما كان في ضيافة الكولونيل " جرانجرفورت " وعلم أنه كانت له ابنه تسمي " اميلين " قد توفيت حزن عليها حزنا شديدا مع أنه لا يعرفها البتة حتى أنه داوم علي قراءة مذكراتها وقد عرف أنها كانت تكتب شعر وأنها كانت دوما ترثي الأموات وقد عصر ذهنه ليكتب سطرين من النثر رثاءً لها لكنه اخفق [1] .
2. عندما سرق حقيبة الذهب من الملك والدوق وأخفاها كان بدافع الشفقة علي البنات اليتيمات وإنه لعمل شجاع لا ينم إلا عن أصل طيب [2] .
3. لقد تجلت شخصية " هاك " الطيبة عندما رأي أهل القرية يحملون الملك والدوق ليثأروا منهم فقد حزن لذلك حزناً شديدا رغم كل ما فعلوه به ورغم أنها محتالين حقيرين، ولقد حاول إخبارهما لكنه تأخر ، وكل ما فعله هذا لكي يحرر " جيم " [3] .... انك مرهف الحس حقا يا " هاكلبري " .

ومن جوانب شخصية " هاك " أنه كان يلوم نفسه دائما فقد كانت نفسه لوامة [4] ؛

فقد ظهر ذلك في موضعين :

---

[1] صفحة 184

[2] صفحة 243

[3] صفحة 307

[4] أنواع النفس ثلاث :

النفس المطمئنة قال تعالى:(يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطمئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً) (سورة الفجر : 27 ، 28)

النفس اللوّامة قال تعالى:(ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ) (سورة القيامة : 2)

النفس الأمارة بالسُّوء قال تعالى:(ومَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ مَا رَحِمَ رَبِّي) (سورة يوسف : 53)

1- فقد ظل يؤنب نفسه علي أنه الملوم علي هروب " جيم " الزنجي وأنه بسببه تورط في كل هذا[5].
2- عندما كان في بيت " جرانجرفورت " وعند هروب الآنسة " صوفيا " ظل يلوم نفسه علي أنه السبب في هروبها لأنه من آتي لها بورقة ميعاد هروبها مع " هارفي شبردسون " [6] .

وأكثر ما أعجبني في شخصية " هاك " ذكاؤه الشديد وسرعة بديهته الواضحة في ثلاث مواقف بالأخص :

1- طريقة هروبه من والده والكيفية التي ابتكرها ليوهم الجميع أنه قُتل[7] .
2- عندما حاول إبعاد الشرطيين عن " جيم " بإخبارهما أن والده مريض في العائمة وأنه كلما ناشد أحداً ليأتي معه لا يأتي فأقنعه بأن والده (المزعوم) مريض بالجدري [8] ؛ وهكذا تخلص منهما بحكمة .
3- عندما طلبت منه الآنسة " صوفيا " إحضار إنجيلها بسرعة شك في الأمر وقال أنه ليس من الطبيعي أن تبدي إحدي الفتيات مثل هذه اللهفة علي إنجيلها وهذا ما دفعه لهز الإنجيل فسقط منه الورقة [9] .

جانب آخر من شخصيته :-

فقد يفعل المرء أفعالا مشينة في صغره ولكنه عندما يكبر يدرك معناها ، وقد يفعلها دون قصد لمجرد التقليد مثلا عندما يري أباه يفعل شيئا مستنكرا ؛ وهذا ما حدث مع " هاك " عندما كان يسرق الدجاج [10] مثلما يفعل والده لكنه قال : " ولكنني استنكرت أمر السرقة أيا كان سببها وددت لو كان هناك طريقة استطيع بها رد ما سرقته .... "

لكن أسوأ ما كان في شخصية " هاك " { الكذب } ... نعم الكذب ، الكذب المبرر والغير مبرر

لم أمقت في حياتي صفة وضيعة مثل الكذب ، طوال الرواية وأنا أتطلع إلي " هاك " لأراه يكذب هنا وهناك كيف كان يتفنن في الكذب حتى إن لم يكذب بلسانه فقد يفعل أفعالا يعتقد من يراها شيئا غير الحقيقة مثلما فعل عندما هرب من والده ؛ ومع كل هذا الكذب لم يفلح ويصبح كاذبا محترفا حتى قال له المحامي " ليفي بيل " اجلس يا بني اعتقد أنك لم تتعود الكذب لأنك لا تجيده .. إنك ما زلت بحاجة

---

[5] صفحة 128
[6] صفحة 164
[7] صفحة 53
[8] صفحة 131
[9] صفحة 157
[10] صفحة 100

إلي المران عليه ... [11] " طبعا لم يكن " هاك " يحتاج المران عليه، فقد كان يكذب بسبب أو بدون داعي وكثيرا كان يقع في شر أعماله بسبب الكذب .

ننتقل الآن إلي بطلنا الثاني الذي لا يمكن إغفاله ولو حتى بكلمات بسيطة : الزنجي " جيم " ؛ شخصية طيبة حقا فقد احتضن "هاك " بشده عدة مرات ولقد كان يخاف عليه جداً وكان ممتناً للجميل الذي فعله " هاك " و " توم " من أجله وأنه صمم علي البقاء والإتيان بطبيب لتوم الجريح وكان ذلك سبب في الإمساك به لكنه كان حقا طيب القلب وكان "هاك" يحبه جداً .

دعونا من الشخصيات الآن فلا أريد أن أسرد أشياء تراءت لعيون كثير من القراء فدعوني أتلصص بين الصفحات باحثا عن كلمة هنا أو هناك قد تستدعي التحليل وربما النقد من رأيي الشخصي فسأبدأ بالكلمات :

1 ـ " الجزائر " كلمة ذكرها الكاتب أو ربما المترجم في أكثر من موضع[12] ومن المعروف أن جزيرة جمعها جزر ولكن لماذا أتي بها الكاتب ؟

في القياس ما علي وزن فَعيلة يجمع علي فعائل مثل : (جزيرة – طريقة) جمعها (جزائر – طرائق)

أما (جُزُر – طُرُق) علي وزن فُعُل [13] فهي جمع كثرة [14] ، وقد تنبه المترجم لذلك ولم يستخدم الكلمة الشائعة فلا يريد الكاتب أن يذكر أنها كانت عدة جزر ولكنها كانت جزائر قليلة .

2 ـ " الأحايين " [15] كلمة أيضا في موضوع الجمع أري أن المترجم ذكرها في مواضع كثيرة

ولا أدري لماذا لم يقل "أحيان " وعندما فكرت وبحثت وجدت أن من أنواع الجموع نوعا يسمي جمع الجمع وهو أحد صيغ الجمع المتناهي [16] مثل : (أحيان – أقوال) فهي كلمات جمع ويمكن أن نجمعها ثانية فتكون : (أحايين – أقاويل) فالكاتب أراد أن يخبرنا بأن هذه الأحيان كثيرة .

3 ـ " النظارة " [17] لفظ أطلقه الكاتب علي الحضور في السيرك

هذا أيضا جمع كثرة فالجمع القياسي "الناظرين " لكن يتضح من ذلك أعداد الحضور الكثيرة لكني حقا لا أعرف لماذا أتي بالتاء فجمع الكثرة هو " نظار " !!!

---

[11] صفحة 270
[12] صفحة 121، 179
[13] وهذا الوزن شائع
[14] شذا العرف في فن الصرف تأليف الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، دار الكيان ، ص 157
[15] صفحة 145 ، 168 ، 193
[16] الشافية في علم التصريف تأليف جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني النحوي المعروف بابن الحاجب ، المكتبة الملكية ، الطبعة الأولي 1415هـ - 1995م ، ص 55
[17] صفحة 203 ، 207

4 -تعددت الشخصيات والاسم واحد ....

" جيم " ... كان هذا الاسم لثلاث شخصيات في الرواية ، طبعا بطلنا "جيم الزنجي " والقاتل الذي كان في القارب [18] كان اسمه " جيم تيرنر " وربان المعدية عندما قال [19] لست ثريا مثل "جيم هورنباك " ؛ لا أدري لماذا كرر الكاتب الاسم هكذا هل انتهت منه الأسماء أم كان يريدنا أن نربط بعض الأحداث ببعض من خلال الأسماء لأنه فعل ذلك ثانية في اسمين آخرين : "هارفي " فقد كان هناك " هارفي شبردسون " و " هارفي ويلكس " ، وقد كان هناك " ماري جين " التي ذكرتني بماري جين جميلة وبطلة فيلم Spiderman وقد كانت هناك أيضا " ماري آن " [20] أظن أن الاسم لم يتغير كثيرا .

وعلي الجانب الآخر أري أن الكاتب أطلق اسمي الملك والدوق علي المحتالين مع العلم أن "هاك" وهو الراوي يعرف من البداية أنهما ليسا كذلك لكنه سهل عليّ أنا بالذات الأمور لأن الأسماء بدأت تتزايد وذلك يشتت انتباهي لكن بالطبع اسمي " الملك" و" الدوق " لم يفعلا ذلك .

5 -"هل أنت مستر ويلكس ؟ " [21] سؤال سأله القروي للملك [22]

عندما جرت الأحداث وعرفت من هي عائلة "ويلكس " لم أعرف من كان يقصد القروي بهذا الـــ"ويلكس " هل كان يقصد " هارفي " أم " وليام " فكلاهما مستر " ويلكس " فهذا عيب عند الانجليز عند مناداة أحدهم باسم عائلته !

دعونا من الكلمات وتصريفها والبحث عن قصد الكاتب منها لأنني أسهبت فيها لننتقل إلي جزء آخر هام وهو موضوعات تطرق إليها الكاتب لا أدري ماذا سأكتب فكل صفحة بل وكل سطر أجد موضوعا هاما يتطلب المزيد من صفحاتي لأتكلم عنها لا أدري حقا بماذا سأبدأ ؟

سألتزم ترتيب الكاتب لسرد الرواية

"التشاؤم " أكثر شيء أردت أن أتحدث عنه في الرواية فلقد كان "هاك" شديد التشاؤم بل وكان "جيم" أشد منه في شؤمه وحقا العالم الغربي شديد التأثر بمثل هذه الخرافات حتى الآن فإنهم ما زالوا يتشاءمون من انسكاب الملح على المائدة، فهذا يعتبر فألا سيئاً .. وذلك بسبب الملح المسكوب أمام (يهوذا) بالذات في لوحة العشاء الأخيرة لـــ(دافنتشي) وقد حدث هذا بالفعل في الرواية عندما اصطدمت يد "هاك " بوعاء الملح فأسقطه وكان يتساءل أين سيدهمه النحس ؟! أما عندنا فقد أمرنا

---

[18] صفحة 103
[19] صفحة 110
[20] صفحة 132 عندما جعل الشرطيين يعتقدا أن أباه مريض بالجدري فقد قال : إن أبي مريض وكذلك أمي وماري آن أختي .
[21] كنت قد حضرت المسرحية التي أقامتها المكتبة للرواية ولقد أعجبتني الفلاحة التي قامت بدور القروي في الرواية فهي حتما أجادت الدور كقروية ساذجة ثرثارة تتكلم في كل شئ ولأي أحد وهذه هي عادة معظم النساء "الكلام الكثير "
[22] صفحة 217

الرسول الكريم بعدم التشاؤم والطيرة، وقد قرأت مقولة ستغني عن أي كلام: (التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال)[23]

الأب الذي يرفض أن يصبح ابنه أحسن منه ، كل هذه المتاعب حدثت لـــ"هاك " المسكين بسبب والده فكان يعيره بأناقته وكان لا يريد منه الذهاب إلي المدرسة مرة أخري ، لا أعرف أبا هكذا في وقتنا الحالي وحتى أجهل الجهال يتمني أن يصبح فلذة كبده أحسن منه حالا علي الأقل ليكون فخرا له .

تعرض الكاتب لقضية إصلاح الفاسدين في المجتمع من خلال تهذيبهم فعندما أُفرج عن والده قال القاضي أنه سيتولى أمره ليجعل منه رجلاً صالحاً وأخذه بيته واهتم به وقد تعهد بأن يحيا حياة جديدة، لكنه سرعان ما عاد إلي حياته القديمة حتى خيل إلي القاضي أن السبيل الوحيد لإصلاحه هو إطلاق النار عليه ؛ يقولون دائما الطبع يغلب التطبع لكنني أكره هذا المقولة، فهناك نماذج مشرفة تدل علي أن التطبع يمكن أن يتحول إلي طبع ويتحول إلي عادة وأن العادة تتكون من فعل شيء لمدة لا تقل عن 21 يوما ؛ إذن يمكن تغيير مثل هؤلاء الفاسدين وإصلاح ذيلهم الذي يقولون إنه لن يستقيم .

أحيانا يصبح القانون ظلما لبعض الناس فقد صرح بذلك والد " هاك " عندما قال : – "ها هو القانون الذي يقر حرمان رجل من ابنه !! .. نعم حرمان رجل من فلذة كبده " نعم يا سيدي أحيانا يحرمك القانون من ابنك إن كنت غير كفء لتنشئته مع العلم أنه لن يعامله أحد مثل والده مهما كانت طيبة قلبه، لكن واضح أنك أب انتزعت الشفقة من قلبه .

أحيانا لا ألوم هؤلاء الناس أمثال والد " هاك " ولا أتحامل عليهم، فالسبب في ذلك البيئة السيئة وكان يمكن أن أكون مثلهم لو كنت نشأت في بيئة مماثلة ؛ كما صرح "هاك" عندما قال إنه أصبح يستمتع بالحياة في الغاب وبدأ يستخدم الألفاظ البذيئة حتى قال :– " ولكم ندمت علي ذلك فيما بعد، فالبيئة السيئة هي التي حملتني علي ذلك " لكن في النهاية لكل منا عقل يستطيع أن يميز به .

ذكر الكاتب أن "هاك" و"جيم" كانوا يريدون الذهاب إلي "كايرو" ولقد دفعني فضولي إلي معرفة كم مدينة بهذا الاسم فعرفت أن هناك ثماني عشر مدينة باسم القاهرة أو Cairo بخلاف قاهرة مصر .. حقا الفضول قتل القط كما يقول الإنجليز.

" ولكن الموت اخترمها " أعجبتني هذا الكلمة جدا أكيد أنها من وحي المترجم، واعتقد أنه لا توجد كلمة في الانجليزية تؤدي نفس المعني ، عندما قرأتها تذكرت قول الشاعر :

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع [24]

---

[23] الحليمي

تناول الكاتب قضية الثأر فقد كان بين عائلة " جرانجفورد " مضيف " هاك " وعائلة " شبردسون " حتى في الطفل " باك " الذي أطلق النار علي واحد منهم ؛ مع العلم أن الرواية تدور أحداثها في زمن ما زالوا يستعبدون الزنوج فيه، فلا عجب أن نجد الثأر فيهم وأنه عادة إنسانية لا عربية قبلية كما يقولون. نجد هنا في مصر أنها ما زالت موجودة ومنتشرة في مدن الصعيد وهي أصلا عادة قديمة تمتد جذورها من الجاهلية وكان الثأر عندهم يمتد لأجيال عدة ,,, وعادة يكون السبب تافه جدا .

تحدث الكاتب عن المتسكعين ... ذكرني ذلك بجماعة من شباب العاطلين الذين يجلسون أمام منزلنا لا يفعلون شيئا أكثر مما فعله متسكعو الرواية ، وأي شخص ينظر إلي هؤلاء المتسكعين في الرواية بعدسة مكبرة سيري فيهم شباب مصر .

عندما كان يحكي " هاك " لـــ"جيم " عن الملوك وذكر أن الملك " هنري الثامن " كان يتزوج كل يوم امرأة ويقتلها في الصباح ؛ كان لابد ذلك أن يذكرني بالملك شهريار لكن هناك عدة فروق بينهم :-

1 -أن هنري جمع ألف حكاية فقط في كتاب "دومسداي " أما "شهريار " فقد جمع ألف حكاية وحكاية واحدة ؛
2 -أيضا الملك هنري جمعهم من ألف امرأة بينما شهريار جمعهم من امرأة واحدة ؛
3 -كانت النهاية بالنسبة لهنري بنهاية الألف حكاية بينما بالنسبة لشهريار بوقوعه في حب شهرزاد راوية حكاياته .

السحر الذي كان يعتقده " الزنجي الحارس" أفاد "توم" و "هاك " كثيرا

1 -فعندما جعلاه يعتقد أن "جيم " لم يتكلم وإنما هي تخيلاته ، فصدق ذلك لأنه كان يؤمن بأنه ممسوس .
2 -عندما طلبا منه أن يأتوا معه ليروا "جيم" وافق علي الفور لأنه يخشي أن يذهب وحده ليلا خوفا من السحرة .

نأتي الآن إلي ما كنت أخشاه وهو سقطات المؤلف أو المترجم ، لماذا أخشاه ؟ لأنني لا اعتقد أن الكاتب هو الذي أخطا أو سهي وإنما أنا الذي سهوت أو فهمت خطأ ، عموما سيتضح ذلك :

1 -عندما كان "هاك " يتحدث مع " جيم" عن اللغات فقال :

---

[24] الشاعر أبو ذؤيب الهذلي .... وكان يقصد أن الموت إخترم أولاده الخمسة واحدا تلوا الآخر .

"لنفرض أن رجلا قال لك ؟ Parlez vous le Français فما تظنه يقول ؟ " فقد كان هذا كلام " هاك " لكن المترجم ذكر في الهامش أنها مكتوبة في الأصل بشكل مختلف لأنه سجلها كما ينطقها زنجي بلهجته الخاصة ، فـــ"هاك " ليس بزنجي .

2- عندما فكر "هاك " في كتابة الرسالة للآنسة "واطسون" يبلغها فيها بأن "جيم" موجود في "بايكسفيل "، في البداية عدل عن هذا الأمر لأنه قال إن الجميع سيحتقرونه لأنه ساعد الزنجي علي الهرب ، لقد نسي الكاتب أنه في نظر الجميع الآن ميت ، ولو فكر " هاك " في ذلك لخاف من أن يلومه الناس علي فعلته وجعلهم يعتقدون أنه ميت من أن يحتقرونه لمساعده " جيم " .

3- لقد وجدت صعوبة في تصديق أن منزل " فيلبس " الذي دخله " هاك " للبحث عن "جيم " ما هو إلا بيت خالة صديقه " توم سوير " فهل بعد كل مئات الأميال هذه وفضلا عن كل بيوت القرية يصبح هذا بيت خالته؛ ما هي إلا مصادفة عجيبة صعبة التصديق ؛ هل أراد الكاتب أن يقحم "توم" في الرواية بشكل أو بآخر أم أنه لم يجد مخرجا لـــ " هاك " غير هذه الطريقة؟

4- الإعلان الذي طبعه " الدوق " عن " جيم " الهارب ذكر أنه هارب من مزارع "سانت جاك " التي تبعد أربعين ميلا جنوب " نيوأورليانز " ؛ لكن الكاتب ذكر أن العم "سيلاس " بعث إلي الآنسة "واطسون " يخبرها بأن " جيم" عنده و" الدوق " لم يذكر في الإعلان شيئاً عن الآنسة "واطسون " ولم يخبره "هاك " بشيء أيضا ، فكيف عرف ؟!

أما أكثر ما أبهرني في الرواية فهو الحس الفكاهي الذي يتمتع به الكاتب الساخر في كتاباته أحيانا وهناك مواضع قتلتني من الضحك "كما يقولون" :-

1- عندما كان والد " هاك " مخمورا وكاد أن يقتله ثم أخبره أنه سيستريح دقيقة ثم يقتله ، تخيلت الموقف قاتلا متوحشا توقف عن قتل ابنه لأنه تعب وسيأخذ قسطا من الراحة ... قمة السخرية .

2- موقف " جيم " مع " هاك " عندما كان يشرح له لغة كل قوم وكيف اعتقد " جيم" أنه أفحم "هاك " بقوله إن البقرة ليست قطة وليست إنساناً وإن الإنسان له لغة واحدة فقط ... أفضل شيء فعله " هاك " أنه كف عن مجادلته .

3- من أشد المواقف التي أضحكتني عندما رأوا الشهب المتساقطة من السماء وفسرها " جيم " بأنها نجوم فسدت أثناء فقسها فهوت من أعشاشها ..... حقا إن العلم نور .

4- رجل السيرك الذي خلع ملابسه التي بلغت عددها 17 قطعة ، أعتقد أنه دولابا يمشي علي رجلين .

5- ملاعق الخالة " سالي " العشرة أم التسعة !! موقف مضحك من تلاعب الشقيين " توم" و "هاك " بالخالة ، فعلا لو حدث معي سأصاب بالجنون ومع ذلك فكرت في أن أفعله في أحد الأصدقاء قريباً .

6- " بحق السماء ، إن الغلام مصاب بحمي مخية ... إن مخه يسيل " هذه الجملة كانت كفيلة بوقوعي من علي السرير من شدة الضحك لم أتخيل يوما أنني عندما أصاب بحمي مثلا سيذوب جسمي .. وعلي هذا ممكن عندما أسعل تخرج حنجرتي في يدي ,,,, لقد أضحكتني كثيرا يا مارك توين .....

هناك بعض الجمل التي أبهرتني وجعلتني أسرح بخيالي إلي أبعد الحدود

1- لقد أبدع الكاتب عندما وصف القاذورات والأوحال بأنها السخرية التي يصنعها الأصدقاء علي رؤوس أصدقائهم إشعاراً لهم بالخزي والعار .

2- " عندما أرخي الليل سدوله " لقد أعجبتني هذا الاستعارة جدا .

3- من أجمل المشاهد التي أعجبتني عندما أسهب الكاتب في وصف السيرك والنساء والجياد وأيضا في وصف مزرعة "فيلبس " ولكم تمنيت حينها أن أكون رساماً فقد تراءت في خيالي وأدهشتني وتمنيت أن أري من يرسمها أمامي .

طبعا الرواية بها الكثير من الجمل البلاغية التي تجعل من خيالك طائرة بجناحين تطوف بين سحر الكلمات لكن هذه الجمل بالذات طُبعت في ذهني .

وكنت دائما أتساءل مع كل هذه المغامرات متى ستنتهي ؟! ,,,,, وكيف سيختم الكاتب هذه المغامرات ؟

لكنه عرف حقا كيف يختمها خاتمة مرضية .

أشكرك يا مارك توين وأشكرك يا ماهر نسيم فقد جعلتموني أسافر أياماً وليالي وجعلتموني أعيش جو المغامرة حقاً .....